الحمد لله رب العالمين، نحمده -جلَّ وعلا- ونُثني عليه، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين-.

أما بعدُ:

فهذا عنوان عظيم -في هذه المحاضرة- في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، هذه الجملة ذكر الله -جلَّ وعلا- على لسان أنبيائه -عليهم السلام-، نوح وهود وصالح وشعيب وقصها عنهم في عدد من سور القرآن في "الأعراف"، في سورة "هود"، في "المؤمنون"، وحينئذٍ ما كررت هذه الكلمة إلا لأهميتها، وما بدأت بها دعوات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إلا لعظم مكانتها، ولذلك علينا أن نهتم بهذه الكلمة الاهتمام العظيم.

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، قالها هؤلاء الأنبياء: لماذا، ولماذا بدأ بها؟ وما هي أهميتها؟ وما المعوقات التي تجعل بعض الناس لا يهتمون بها؟ وما هو الفهم الخاطئ لهذه الكلمة عند بعض الناس؟ هذا ما سأتحدث عنه في هذا اليوم -بإذن الله جل وعلا.

فأول ذلك: هل العبادة أمر مهم؟ أو ليست كذلك؟

فالجواب: نعم، هو أمر شديد الأهمية، لماذا قلنا بأنها أمر مهم؟ لعدد من الأمور سأذكر بعضًا منها.

فأول ذلك: أن الله -جلَّ وعلا- خلقنا من أجل هذا الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وثانيها: أن الله -جلَّ وعلا- قد جعل العلة، والسبب في بعثة الأنبياء هي تحقيق هذا الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم ما أُنزلت الكتب ولا شُرعت الشرائع إلا من أجل هذا الأمر، ولذا كان من شعار أهل الإيمان أنهم يقولون ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ أي: لا نعبد أحدًا سواك، ولهذا فأول أمر في القرآن يجده قارئ هذا الكتاب هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم هذه العبادة هي التي تحصل بها النجاة يوم لقاء رب العزة والجلال، فكلنا عما قليل مغادرون لهذه الدار، وكما مات من قبلنا فإننا سنموت، وسننتقل من هذه الدار إلى دار الآخرة، وبالتالي فبمقدار ما يكون عند الإنسان من العبادة يكون عنده من المنزلة عند رب العزة والجلال.

ومن هذا المنطلق علينا أن نتقرب إلى الله -جلَّ وعلا- بأن نكون من أهل عبادة الله جل وعلا. إذًا هذا موضع مهم بل هو شديد الأهمية، ولا يوجد موضوع أهم من هذا الموضوع، لماذا نقول هذا الكلام؟

نحن نجد على كوكب الأرض عددًا من الأمم، وعددًا من الدول، وعددًا من الأقوام والأشخاص يهتمون بالدنيا وغاية مرادهم الدنيا، ويغفلون عن عبودية الله -

جلَّ وعلا- التي خلقوا من أجلها، ومن هنا فنحن أيها البشر في أشد الحاجة بأن يذكر بعضنا بعضًا بموضوع عبودية الله -سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني: أن عبودية الله قد قامت عليها الأدلة الكثيرة المتعددة، وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- في كتابه عددًا من الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله بالعبادة، وسأذكر لكم نماذج من الآيات القرآنية التي فيها استدلالات عقلية تجعل الإنسان يزعم لهذا الأمر الإلهي بعبودية الله جل وعلا، فانظر مثلًا في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فهذا فيه دليل في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، وقوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾، فإن المعنى أنه يوالي عليكم النعم ويتولى جميع أموركم ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ دليل ثاني، ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، مهد هذه الأرض لنتمكن من السير عليها، فالذي فعل ذلك مستحق؛ لأن يعبد -سبحانه وتعالى، ثم جعل السماء بناءً، دليل أخر، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، إنزال الأمطار دليل عظيم على وجوب إفراد الله بالعبادة، ثم إنبات النبات بهذه الأمطار مما يخرج منه أنواع الثمرات، سواء زرعها الناس أو نبتت في البرية، هذا دليل أخر وجوب إفراد الله -جلَّ وعلا- بالعبادة؛ ولذا قال بعدها: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا تجعلوا أحدًا يماثل الله في عبوديتكم له، بل اجعلوا العبودية لله -جلَّ وعلا- وحده.

وانظر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وبالتالي هذه أدلة عظيمة تدلنا على وجوب إفراد الله -جلَّ وعلا- بالعبادة.

ومن الأمور التي نُنبه عليها في هذا: أن مقدار الإنسان ومنزلته الحقيقية تكون بمقدار ما يكون عنده من العبادة؛ ولذا في المواطن الشريفة التي يذكر الله -جلَّ وعلا- نبيه -صلى الله عليه وسلم- يصف بوصف العبودية، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وهكذا في حادثة الإسراء والمعراج كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، فالمقامات الشريفة يذكر الله -جلَّ وعلا- نبيه -صلى الله عليه وسلم- بمقام العبودية، ولذا فكل ما ازدادت عبوديتك لله؛ ازدادت مكانتك وارتفعت منزلتك في الدنيا وفي الآخرة، إذا تقرر هذا فإن العبودية حق لله خالص، يجب علينا أن نعطيه لله -جلَّ وعلا-، ولهذا ما زال أنبياء الله يوصون من بعدهم بحق عبودية الله، لا تظن أن الأمر سهل أو أنه أمر قليل الأهمية والمكانة، لا. مقام العبودية مقام عظيم، ولذا ذكر الله -جلَّ وعلا- عن أنبيائه -عليهم السلام- أنهم يوصون ذراريهم بالعبودية لله -جلَّ وعلا- أنظر مثلًا لقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهكذا أخذ الله -جلَّ وعلا- المواثيق على بني آدم أن يفردوا الله بالعبادة، انظرا مثلًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ومن هنا يستشعر الإنسان هذه الموضوعات -موضوعات العبادة-، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وانظر لقوله -جلَّ وعلا-: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

وهكذا ذكر الله -جلَّ وعلا- عن أنبيائه -عليهم السلام- أنهم يَزْعَنُون لعبودية الله -جلَّ وعلا-، انظر لقوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ المَلاَئِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]، إذا تقرر هذا فإن من المفاهيم المغلوطة في موضوع العبادة، حصر العبادة بالعبادات المحضة التي تُفعل على هذا الوجه فقط، بعض الناس يظن أن العبادة في الصلاة، في الصيام، في الحج، وهذا فهم خاطئ، بل العبادة تشمل جميع أجزاء الحياة بلا تفريق، فقول بعض الناس العبادة في المسجد فقط، هذا كلام خاطئ وكلام يخالف شريعة رب العزة والجلال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ* لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومن هنا نستشعر أن هذه الشريعة وهذه العبادة تشمل جميع أجزاء الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وكما قال تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

من هنا نستشعر أن هذا الأمر وهو أمر العبودية يشمل جميع أجزاء الحياة، وبالتالي على الإنسان أن يعبد الله بكل فعل يفعله في حياته، مثلًا فيما يتعلق بإحضار الإنسان لحاجيَّات أهله أو في نفقته على من ينفق عليه من أبنائه وزوجاته، ينبغي به أن يستشعر أن ذلك لله -جلَّ وعلا- يعبد به ربه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها»، وكما قال -صلى الله عليه وسلم-: «نفقة الرجل على أهل بيته يحتسبها صدقة»؛ ولذا فتعاملك مع الآخرين اجعله عبادة تعبد الله -جلَّ وعلا- وتتقرب بها إلى رب العزة والجلال -سبحانه وتعالى-، وهكذا في كل حياتك ينبغي بك أن تجعل هذه الحياة عبودية له -سبحانه وتعالى-، وبالتالي تستقيم أمورك وتكون ممن حقق الهدف الذي من أجله خُلق، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل إليه الكتب.

ومن الأمور التي تتعلق بهذا الأمر: أن الإنسان ينبغي به أن يستشعر مقام العبودية في كل يفعله، مثال ذلك: أنت في وظيفتك تؤدي هذا العمل في عدد من الأمور، أولها أنك تعبد الله بكونك تلتزم بالعهد الذي بينك وبين جهة عملك، وتعبد الله -جلَّ وعلا- بكونك تجعل المال الذي يرد إليك من هذه الوظيفة مالًا حلالًا مباحًا، وتعبد الله -جلَّ وعلا- بهذه الوظيفة بما تقدمه من خدمة ومنفعة تنفع بها أولئك الذين يرتبط بهم عملك، وتعبد الله -جلَّ وعلا- بكونك تتمكن من المال الذي يُمكِّنك من أداء الواجبات الشرعية والمستحبات، وبالتالي تكون قد عبدت الله -جلَّ وعلا- في هذا المقام.

وهكذا في تعاملك مع الآخرين سواءً كان هذا التعامل منطلقًا من الصداقة أو منطلقًا من البيع والشراء أو منطلقًا من أي تعاون أيًّا كان هذا التعاون، فينبغي بك أن تجعل هذه العلاقات عبادة تعبد الله -جلَّ وعلا- بها، فعلاقة الصداقة تتقرب إلى الله بها، مثال ذلك: عندك أصدقاء تزورهم ويزورونك، حينئذٍ ليكون من شأنك أن تجعل هذه العلاقة قائمة على عبودية الله -سبحانه وتعالى-، فإن هذه العلاقة إذا كانت محبة في الله -سبحانه وتعالى-، كانت عبادة ينال الإنسان بها المراتب العليا، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة يَغْبِطهُمُ النبيون والشهداء».

وهكذا بهذه الصداقة تتمكن من تقديم إحسان وفعل حسن خلق مع زميلك، إما بدعوته وإكرام الضيف عبادة، وإما بالاستجابة لدعوته والاستجابة لدعوات الآخرين عبادة يتقرب بها لله -جلَّ وعلا- وإما بكونك تقصد بجلستك معه أن تفيده أو تستفيد منه في أمر دينك ودنياك، وتكون ممن عبد الله بهذه الجلسات، وهكذا عندما تحسن إليه سواءً بالكلمة الطيبة واللفظ الجميل أو بأي نوع من أنواع الإحسان، ليكن من شأنك أن تعبد الله -جلَّ وعلا- بذلك، فتكون علاقتك معه مبنية على عبودية الله -سبحانه وتعالى.

وهكذا فيما يتعلق بإيرادك للقصة التي تكون سببًا لسعادة أولئك الأشخاص الذين تودهم وتتقرب إلى الله بصلتك بهم وبعلاقتك معهم، فإن من الأعمال التي نعبد الله بها أن ندخل السرور في قلوب إخواننا، ومن ثَمَّ نعبد الله حتى بإيراد القصة

الجميلة والنكتة اللطيفة ويكون ذلك من أسباب رضا رب العزة والجلال عنا - سبحانه وتعالى.

وهكذا في علاقة الإنسان مع جميع من له بهم علاقة، علاقتك مع زوجتك، علاقتك مع إخوانك وقرابتك، علاقتك مع والديك، علاقتك مع زملائك في العمل، علاقتك مع جميع من لك بهم صلة أيًّا كانت هذه الصلة، حتى أولئك الذين يعادونك ويبغضونك، فإنك تتقرب إلى الله -جلَّ وعلا- بطريقة التعامل معهم، يعني مثلًا لو صددت إنسان عن معصية الله -جلَّ وعلا- بطريق شرعي، فليكن من شأنك أن تعبد الله -سبحانه وتعالى- بذلك، وليكن من شأنك أن تتقرب إلى الله بكف أهل الشر عن ولوجهم ودخولهم في أبواب الشر عبادة لله -سبحانه وتعالى- أيًّا كان هذا الشر الذي يريدون أن يُدخل فيه.

ومن الأمور التي نقررها في هذا الباب وتغفل عنها أذهان كثير من الناس: أن العبادة حقٌّ خالص لله -جلَّ وعلا-، وبالتالي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله -جلَّ وعلا-، بل لو قدر إن إنسان عنده عبادات يصرفها لله وحده وعبادات يصرفها لله ولغيره، فإن أعماله كلها تكون مردودة كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وكما قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وكما قال -جلَّ وعلا- في الحديث القدسي: «أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ».

ومن هنا فعلى الإنسان أن يحتاط في هذا الباب، بعض الناس يظن أن موضوع صرف العبادة لله وحده وعدم صرفها لغيره أمر سهل، وهذا خطأ، بل هو من الأمور

الصعبة ومن الأمور التي لم يهتدي لها إلا قليل من الناس، وبالتالي لا تستهين بهذا الأمر، ومن هنا كان أنبياء الله يخافون على أنفسهم من الشرك ويخافون على ذراريهم من الشرك ويخافون على أصحابهم وأتباعهم من الشرك، ألم يقل إبراهيم خليل الرحمن: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، اجنبني يدعو لنفسه مع أنه خليل الرحمن، خشي على نفسه من صرف العبادة لغير الله -جلَّ وعلا-، وانظر لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، ولذلك فالباب ليس باب سهل يظن الإنسان أنه سيتمكن من صرف العبادة لله وحده؛ ولذا لما جاء صحابي يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاءً علمه فقال: «قل: اللَّهمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفر لما لا أعلم».

ومن الأمور التي ينبغي أن تلاحظ في باب العبادة ويحصل بها خطأ في مفاهيم بعض الناس، أن العبادة التي لغير الله ليست مقتصرة على عبودية الأصنام، بل قد يكون هناك عبودية لبعض الأشخاص، قد يكون هناك للهوى، قد يكون هناك عبودية لغير الله -جلَّ وعلا-، وبالتالي يحذر الإنسان من هذا الباب، ويعلم بأن رب العزة والجلال المتصرف في الكون -سبحانه وتعالى- لا يرضى من العباد إلا بعبادته وحده -سبحانه-، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

ومن الأمور التي ينبغي أن نستشعرها، أن العبودية قائمة على أربعة معانٍ، هذه المعاني يجب علينا أن نجعل أخلصها وأعلاها لله -جلَّ وعلا-، أولها: مقام الخوف،

فعبودية الله تنطلق من مقام الخوف منه -سبحانه وتعالى-، ولذا قال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] " رَهَبًا" يعني خوفًا، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، انظر قيد الإيمان بمخافة رب العزة والجلال، ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ولذا وعد الله -عز وجل- أهل مقام الخوف بالجنان كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ومتى أعظم العبد خوفه من الله، لم يخف من أحد سواه؛ لأنه يعلم أن الله هو المتصرف في الكون -سبحانه وتعالى-، ومن ثَمَّ فلن يتمكن أحدًا من ضره إلا بقدر من الله -جلَّ وعلا- وخلق منه -سبحانه-، ولذا قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

الأمر الثاني: مقام الرجاء، فإن العبد ينبغي به أن يكون أمله في الله، وأن يكون ظنه حسنًا في ربه -سبحانه وتعالى-، من هو المتصرف في الكون؟ هو الله -جلَّ وعلا-، من هو النافع؟ هو الله -جلَّ وعلا-، من هو المعطي؟ هو رب العزة والجلال، ومن هنا فعلى العبد أن يعبد الله -جلَّ وعلا- رجاءً في ثوابه وأملًا في فضله -سبحانه-، قال تعالى: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦].

ومن المقامات التي يقام عليها العبادة، مقام المراقبة، بحيث يستشعر أن الله -جلَّ وعلا- مطلع على أحوالك، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي

الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٥، ٦]، وقال واصفًا نفسه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكما قال: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ولذا كان من أعلى مقامات الدين مقام الإحسان الذي هو مقام عبودية مبني على المراقبة، كما قال -صلى الله عليه وسلم- في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وحينئذٍ نجعل من شأن أن نستشعر أن الله -جلَّ وعلا- مطلع على أحوالنا لا يخفى عليه شيء من أمورنا.

وأما الأساس الرابع للعبودية: فهو المحبة، بحيث تحب الله وتحب من أمرك الله بمحبته ومن تحبهم لله وفي الله، ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذه هي أساسات مقام العبودية الذي تحصل به النجاة، والعبودية لها شرطان، لا تقبل عبادة بما سواهما.

أولاهما: الإخلاص، ما معنى الإخلاص؟ أن تعبد الله وحده طلبًا لرضاه وأملًا في ثواب الآخرة، ولذا تعلم خطأ كثير من الناس في هذا الباب، فإننا نجد أن بعض الناس يعبد الله من أجل أن ينيله الدنيا، وبالتالي ليس له في الآخرة من خلاق، إذا ورد يوم القيامة وكل أعماله وعباداته عملها لله لينيله الدنيا، فحينئذٍ ليس له في الآخرة من خلاق ولا نصيب، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن

نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

وكما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، ولذلك نعلم خطأ بعض الناس في بعض العبادات التي يفعلونها، بعض الناس يصلي صلاة الاستسقاء يقول أصليها لله لينزل المطر، فبالتالي ليس له أجر في الآخرة، لماذا؟ لأنه ما نوى أجر الآخرة، والنبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «وإنما لكل امرئ ما نوى»، بعض الناس يجلس يذكر الله أذكار الصباح والمساء، وإذا قلت له: ما الذي تريد بهذا الذكر؟ قال: من أجل ألَّا تُصيبني السحرة ولا الحسدة، أريد أن أسلم في بدني من شر هؤلاء، هذا ليس له في الآخرة أجر على هذه المجالس؛ لأنه ما قصد بذلك إلا الدنيا، وبالتالي ليس له في الآخرة أجر على هذا العمل.

ومِثله في باب الدعاء، تجد بعض الناس يرفع يديه يطلب الله أمور الدنيا ويغفل عن أن يقصد الأجر الأخروي، حتى ولو طلبت أمور الدنيا ليكن من شأنك أن تقصد بذلك الحصول على الأجر الأُخروي، فإن الله قد طلب منك أن تدعو كما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ومن هنا عليك أن تستجيب لله في طلبه حينما طلب منك أن تدعوه، فقاصدًا بذلك أن ترضي الله وقاصدًا بذلك الحصول على الأجر الأخروي، ولذا قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢].

وهذا المقام يغفل عنه كثير من الناس في باب العبودية، ولذا علينا أن نذكر أنفسنا وأن نتقرب إلى الله ونسعى للحصول على الأجر الأخروي بتذكير غيرنا بهذا الباب.

ومن الأمور التي ينبغي أن نفصلها في هذا، أن الأعمال التي يمكن أن يُعبد الله بها على نوعين، النوع الأول: عبادات محضة لا تفعل إلا على جهة العبادة، مثل الصلاة ما يأتينا واحد ويقول أنا أصلي بدون أن تكون هذه الصلاة عبادة، لا بدَّ أن يصليها عبادة، هذه الأفعال التي تتمحض أن تكون عبادة الناس فيها على أربعة أصناف، الصنف الأول: من يعبد الله بها لينال الآخرة وليرضي الله، فهذا المأجور، الموحد، المثاب، الفائز الفوز الكبير كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

الثاني: من يفعل هذه العبادات من أجل أن ينال لله لينيله الدنيا، هذا ليس له في الآخرة أجر على هذه الأعمال، إن أثيب عليها في الدنيا وإلا في الآخرة ليس له أجر.

الثالث: من يعبد بها غير الله، فهذا شرك أكبر مخرج من دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وبالتالي أنظر لكلمة عبد الله المسيح -عليه

السلام- لما أمر بني إسرائيل أن لا يعبدوه وحذرهم من أن عبادته شرك وأن من أشرك بالله فإن مآله إلى نار جهنم -والعياذ بالله- كما في هذه الآية.

أما الصنف الرابع: فهو من يفعل هذه العبادات لغير الله لا على جهة عبادته، فهذا شرك أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ذنب عظيم أكبر من الكبائر، فهذا منه الرياء؛ لأن من يفعل ويرائي يكون حينئذٍ غير مأجور على هذا العمل وقد أقدم على ذنب عظيم وفعل جريمة عظيمة.

إذا تقرر هذا، فإن الصنف الثاني من الأعمال هو ما لا يتمحض أن يكون عبادة، ومن أمثلة هذا: إعطاء الفقير الصدقة، ومن أمثلته الإمساك عن الطعام والشراب، ومن أمثلته: ترك المحرمات على أنواعها، ومن أمثلته: ترك المحرمات على أنواعها، فهذا الناس فيه على ثلاثة أصناف: منهم من يعبد الله لينيله الآخرة بهذا العمل، ومنهم من يفعله من أجل سلامة أمر دنياه، ومنهم من يفعله من أجل البشر لا على جهة العبادة، وهذا المقام من مقامات العبودية يغفل عنه كثير من الناس، ألا وهو ترك المحرمات عبودية لله من أجل أن ينال الإنسان أجر الآخرة، الحمد لله هداكم الله جميعًا وأنتم لا تشربون الخمر، لكن هل تأجرون على ذلك؟ نقول: من ترك هذا ناويًا التقرب لله والحصول على الأجر الأخروي، كان مأجورًا مثاب، لكن هذا الذي تركه خوفًا على صحته أو تركه لأنه لم يجده، فحينئذٍ نقول بأن: هذا الشخص لا يثاب.

إذًا هذه تقسيمات الناس بالنسبة للشرط الأول، وهو شرط الإخلاص، فالناس يتفاوتون فيه، وليس المراد بالإخلاص إتقان العمل كما قد يفهمه بعض الناس، وإنما

المراد بالإخلاص إفراد الله بالعبادة بقصد نيل الأجر الأخروي ورضا رب العزة والجلال، فهذا هو مفهوم الشرط الأول من شروط العبادة.

وأما الشرط الثاني: هو متابعة الشرع في هذه العبادات، إذ لا يجوز لنا أن نعبد الله -جلَّ وعلا- بعبادة لم تأتي في ديننا، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وانظر لقوله: كل فإنها من ألفاظ العموم تشمل جميع ما يحدث، وبالتالي نعلم خطأ أولئك الذين يجعلون البدع منقسمة إلى ما هو حسن وإلى ما هو سيء، بل على مقتضى كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كل بدعة ضلالة»، ومن ثَمَّ لا يجوز لنا أن نخترع عبادات جديدة، بل الواجب علينا أن نتبع الشرع في هذه العبادات وأن نسير على مقتضى ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومن ثَمَّ لا نحدث عبادة جديدة من أصلها ولا نخصص عبادة بزمن أو مكان بدون دليل شرعي، ولا نغير في صفات العبادة أو في كميتها، وإنما نتبع الشرع في ذلك كله حتى نكون في عباداتنا ممن اتبع شرع رب العزة والجلال، ولذا قال النبي: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لتأخذوا عني مناسككم».

ومن فضل الله -جلَّ وعلا- على الأمة أن جعل هذا الدين كامل، ومن فضله أن جعل عبادات النبي -صلى الله عليه وسلم- تنقل إلينا كاملة بصفاتها الدقيقة، ولذا نجد أن الرواة ذكروا كيف كان يفعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأصابعه في

ركوعه وفي سجوده وفي جلسته وفي تشهده، متى كان يرفع أصبعه، وكيف يفعل بأسبقية أصابعه، بل نقلوا عنه -صلى الله عليه وسلم- كيفية أداء الأذكار والألفاظ التي يتكلم بها، ألم يقل الراوي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إذا فرغ من صلاة الليل قال ثلاث: سبحان الملك القدوس يمد صوته في الثالثة»، هذا وقت خفي وقت صلاة الليل آخر الليل، ومع ذلك حرص صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينقلوا لنا دقائق عبوديته لربه -جلَّ وعلا-.

ومن هنا نعلم أن الإنسان ينبغي به أن يستشعر هذا المقام وهو مقام المتابعة لله -جلَّ وعلا- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- فيما يؤديه من شعائر دينه ولا يستحدث عبادات جديدة أو يخص عبادة بوقت أو بمكان أو بطريقة على خلاف ما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ونحن في هذه البلاد منَّ الله -جلَّ وعلا- بأن جعل الظاهر هو التوحيد، هو الذي قامت عليه هذه البلاد، وهكذا جعل الأمر الظاهر هو السُّنَّة لا البدعة، فالناظر في أحوال الناس في عبادتهم، في مساجدهم، في خلواتهم؛ يجد أن الظاهر من أحوالهم هو متابعة السُّنَّة، لكن في بلاد أخرى نجد أن بعض الناس قد يصرف عبادته لغير الله -سبحانه وتعالى-، ونجد أن عندهم طرائق مخالفة لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي مرات تجدهم يحتجون بأشياء معقولة ويتركون دلالة النصوص.

فمثلًا يقولون: هذا من محبتنا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما علموا أن المحبة طريقها اتباع هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- لا مخالفة هديه، كما قال

تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن هذا المنطلق، على الإنسان أن يستشعر أن الله -جلَّ وعلا- قد منَّ عليه بأن جعله في هذه البلاد التي يجد فيها علامات التوحيد وطرائق السُّنَّة فيكون هذا من أسباب قربه من الطريق الصحيح الذي يعبد الله -جلَّ وعلا- به.

ومن الأمور التي نؤكد عليها في باب العبودية لله -جلَّ وعلا-: أن يستشعر الإنسان أن هذا المقام هو مقام العبودية هو أعظم المقامات، وهو مقام الفرق بين أهل الإسلام وغيرهم، لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن بعض الناس يظن أن أعظم المقامات هو مقام إثبات وجود الله أو مقام إثبات الربوبية لله -جلَّ وعلا- وأنه هو الخالق الرازق المدبر، وهذا خطأ؛ لأن هذا من الأمور الفطرية، وهذا من الأمور التي استقرت في الأذهان والعقول، ولذا نجد أن أنبياء الله -عليهم السلام- تكون دعواتهم في باب توحيد الإلوهية.

انظرا مثلًا لقول إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤١، ٤٢]، يعني إبراهيم يقر أن هذه المعبودات من دون الله لا تغني شيء، فذكره بهذا وقال: ما دام أنك تعرف أنها لا تغني شيء، فحينئذٍ لا تعبدها واعبد الله -جلَّ وعلا-، ثم قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، ماذا كان جواب أبيه؟

قال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ [مريم: ٤٦]، يعني في نهيك لنا عن عبادة هذه الأصنام ﴿لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.

فالمقصود أن الإنسان ينبغي به أن يستشعر أن مقام العبودية هو أعظم المقامات، وهو المقام الذي يدعو إليه أنبياء الله -عليهم السلام-، يأتيك بعض الناس ويحاول أن يشكك فيقول: أنتم تقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام، توحيد ربوبية، وتوحيد إلوهية، وتوحيد أسماء وصفات، فمن أين أتيتم بهذا؟ قلنا: أتينا به من استقراء آيات الله -جلَّ وعلا-، هذه سورة "الفاتحة" فيها هذه الأنواع الثلاثة، ألم يقل الله -جلَّ وعلا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهذا مقام توحيد الإلوهية بعد أن ذكر مقام الربوبية في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهكذا في آيات كثيرة، انظر لقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فرب السماوات والأرض هذا توحيد الربوبية، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الألوهية، توحيد العبادة وهو الذي بُعث به أنبياء الله -عليهم السلام-.

إذا تقرر هذا؛ فإن مقام إفراد الله بالعبودية هذا مقام عظيم وهو الذي تحصل به النجاة وتحصل به إدراك الدرجات العلى في الجنان، إذا تقرر هذا؛ فإن مقام العبودية -كما تقدم- يشمل جميع أجزاء الحياة، ومن ذلك ما يتعلق بالأمور القلبية، كثير من الناس يحصر العبادة بالأعمال الظاهرة ويخفى عليه أن القلب منطلق للعبادات كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح

الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، ومن هذا المنطلق على الإنسان أن يعبد الله -جلَّ وعلا- بقلبه.

وسأضرب لكم أمثلة من عبودية القلب، من تلك العبوديات عبودية الشكر، ما معنى هذه العبودية؟ وهي من العبادات العظيمة كبيرة الأثر ولكن كثيرًا من الناس يغفلون عنها، الشكر تعني الاعتراف لله بنعمه، وصرف هذه النعم في مراضي رب العزة والجلال، انظر كم لله من نعمة عليك غفلت عن نسبتها إلى رب العزة والجلال؟! سواءً في صحتك وفي بدنك أو فيما نلته من الدنيا أو في العلاقات الاجتماعية وما وهبك الله من مال وولد أو شهادة أو منصب، كلها نعم من عند رب العزة والجلال، كم من إنسان هو أفضل منك في صفاته ولم ينل هذه الأمور؟ وما ذاك إلا أن الله -جلَّ وعلا- قد تفضل عليك بهذه النعم، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، في مقامين: مقام ذكر فيه أن الله غفور رحيم، ومقام ذكر فيه أن الإنسان كفور، وبالتالي على الإنسان أن يعبد الله بهذه العبادة القلبية، عبادة شكر رب العزة والجلال.

هكذا من العبادات أن تتقرب إلى الله -جلَّ وعلا- بعبادة التواضع، حتى لا ترى لنفسك فضلًا على غيرك ولا ترى أن لك إحسانًا أو جميلًا أو معروفًا على الآخرين، فإن الله -جلَّ وعلا- هو الذي يسير ذلك وهو الذي مكن منه -سبحانه وتعالى-، ولو لا أن الله قدر هذا لم يكن منك إحسان ولا فعل البتة، ولذا لا يمن أحد على أحد بما قدمه إليه من إحسان وإنما المِنة لله -جلَّ وعلا-، أن مكنك من الإحسان إلى عباده، فتنال بذلك الأجر والثواب من عنده -سبحانه وتعالى-.

ومن الأمور التي ينبغي بالإنسان أن يستشعرها وأن يجعلها من الأمور الحاضرة لديه، موضوع إصلاح القلوب حيث يستشعر الإنسان في رؤيته لأي شيء في الكون أنه من خلق الله، وأنه من تدبير رب العزة والجلال، فيستشعر أن الله هو المهيمن، وأن الله -جل وعلا- هو المتصرف في الكون، وأنه هو المدبر للأمر، وأنه إذا أراد شيء فإنه يقول له كن فيكون، هذه عبادة، استشعار هذه المعاني عبادة تتقرب بها إلى رب العزة والجلال، وهكذا فيما يتعلق برغبة الإنسان في الخير، في الرزق أو في علو المنزلة، أو في المعزة والمكانة، ينبغي به أن يستشعر أنها من عند الله، وبالتالي يتقرب إلى الله -عز وجل- بطلبها من الله -سبحانه وتعالى-، وأن لا يطلبها من أحد سواه إلا على جهة بذل الأسباب.

ومن الأمور التي نذكر بها في هذا الباب، أن يستشعر الإنسان أنه عما قريب سيقف بين يدي الله، فإن استحضار أمر الآخرة وجعله بين العينين عبادة يتقرب بها لله -جلَّ وعلا-، تذكر الآخرة عبادة نعبد الله بها، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

ومن هذا المنطلق على الإنسان أن يجعل قلبه مملوءً من عبودية الله -سبحانه وتعالى-، إذ العبادات لا تنحصر في الأعمال الظاهرة، الأعمال الظاهرة مظهر من مظاهر عبودية رب العزة والجلال، لكنها ليست جميع العبادة، ومن الأمور التي أؤكد عليها في هذا الباب، أن يتقرب الإنسان إلى الله -جلَّ وعلا- بأن يحب للآخرين ما يحبه لنفسه، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وهذا منطلق من منطلق المحبة الإيمانية التي هي عبادة نعبد الله -جلَّ

وعلا- بها -كما تقدم-، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر منهم رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، وقد أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- من أحب أخاه إلى أن يخبره بذلك، ولذلك فإني أخبركم بأني أحبكم في الله -جلَّ وعلا-، بارك الله فيكم وأسعدكم الله في دنياكم وأخراكم، وجعلكم الله موفقين في كل أموركم، كما أسأله -جلَّ وعلا- أن يجعلني وإياكم ممن عبد الله وجعل العبادة معه في كل لحظة من لحظاته، وأسأله سبحانه أن ينيلنا الأجر العظيم والثواب الجزيل، وأن يجعل مقاصدنا أخروية بفضله وإحسانه، كما أسأله -جلَّ وعلا- أن يصلح أحوال الخلق وأن يجعلهم على خير الأمور وأتمها، اللَّهمَّ يا حي يا قيوم أجعلنا ممن يعبدك في كل أمورنا، في كلامنا، وفي لباسنا، وفي تصوراتنا، وفي أمورنا الظاهرة والباطنة، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهمَّ وفق ولاة أمرنا لكل خير، واجعلهم من أسباب الهدى والتقى والصلاح والسعادة برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهمَّ يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام نسألك أن تنشر التوحيد بين عبادك، وأن تجعلهم على طريق السُّنَّة والطاعة، يا ذا الجلال والإكرام - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].